معرض الخريف السنوي ينطلق في «خان أسعد باشا» ـ دمشق بمشاركة 140 فناناً

خليل: الفنّ السوري يخاطب العالم بأننا سنبقى صنّاع الحياة

رانيا مشوّح

أقامت مديرية الفنون الجميلة في وزارة الثقافة السورية، بالتعاون مع اتحاد الفنانين التشكيليين، معرض الخريف السنوي، في «خان أسعد باشا» في دمشق. وضمّت هذه التظاهرة الفنية أكثر من 300 عمل فنّي، تنوّعت بين تصوير ونحت وحفر وغرافيك، وحملت مختلف الأساليب والمدارس التشكيلية، من الواقعي إلى التجريبي والإنطباعي والتعبيري والسريالي، وذلك بمشاركة 140 فناناً.

افتتح المعرض وزير الثقافة عصام خليل، الذي أدلى بتصريح إلى «البناء» جاء فيه: «يشكّل هذا المعرض فرصة طيّبة للاطّلاع على الفنّ التشكيلي السوري وغناه، وعلى تطوّره في المرحلة السابقة، وذلك عبر لوحات استمدت معظم أفكارها من الواقع السوري، لكنها عاشته بأمل الانطلاق من هذه اللحظة الشاحبة لكتابة رسالة إلى العالم كله، مفادها أننا ـ نحن السوريين ـ صنّاع الحياة وسنبقى مهما حصل».

كما عبّر الدكتور فواز بكدش، عميد كلّية الفنون الجميلة، عن رأيه في المعرض قائلاً: «يعدّ هذا المعرض تقليداً سنوياً قديماً، وفرصة لتقديم الفنّ السوري، من خلال أعمال فنانين تشكيليين من شرائح اجتماعية مختلفة. كما يعتبر هذا المعرض رسالة واضحة للعالم مفادها أن سورية بدأت تستردّ عافيتها من خلال مشاركة واسعة من فنانين ذوي أسماء هامة وأعمال عريقة في تاريخ الفن المعاصر».

واعتبر إحسان العرّ، رئيس اتحاد الفنانين التشكيليين، أن إقامة هذا المعرض في ظلّ ما تمرّ به سورية من ظروف قاسية، تعدّ بحد ذاتها إنجازاً هاماً، وقال: «إن استمرارية إقامة المعرض إنجاز كبير في هذه الظروف، كما أن الأعمال المقدّمة تعتبر خلاصة إنتاج سنة كاملة من الجهود الفنية المبذولة من كبار الفنانين التشكيليين، ونعتبر المعرض مدرسة يستفيد من خبرتها الفنانون الشباب».

وعن أهمية هذا المعرض في إغناء التراث الحضاري السوري قالت غادة سليمان، مديرة «خان أسعد باشا»: «إنّ أهمية معرض الخريف السنوي، تكمن في احتضانه عدداً كبيراً من الفنانين في مجالَي النحت والرسم، واستقطاب عدد كبير من الجمهور في الخان، كتحفة معمارية تستقبل إبداعات الفنانين التشكيليين لإقامة المعارض والنشاطات الثقافية المختلفة».

وعن مشاركته في المعرض قال الفنان جمال العباس: «حاولت من خلال مشاركتي من خلال لوحة ترانيم في الحب، أن أشير إلى أن الحياة مستمرّة على رغم ما نعانيه من ظروف قاسية. كما أن المعرض فرصة وتظاهرة تعبّران عن منحى حضاريّ تقدّمي، وأننا ما زلنا متفائلين بالمكان الذي وصل إليه الفنان السوري وحضوره المميز في الساحتين العربية والعالمية».

كما تحدّث إلى «البناء»، الفنان سائد سلوم عن مشاركته في المعرض فقال: «حاولت من خلال لوحتي تصوير الإنسان الذي يخضع للفكر العدمي، عدمية المادة والوجود، إذ جسّدت اللوحة الكائنات الإنسانية بطريقة مغايرة لما هي في الواقع، إنما بشكل تعبيري جمالي». وأضاف: «إن معرض الخريف السنوي فرصة لتبادل تجارب فنية في مجال الفن التشكيلي الذي له لمسات فنية واضحة ترتبط بالواقع».

وفي مجال النحت، شارك النحات غازي كاسوح بمنحوتة اختار لها اسم «عبق الياسمين»، وقال عنها: «حاولت من خلال هذا العمل عكس حالة تعبيرية مميزة من خلال تجسيد الأنثى بحيويتها ومعاناتها وثورتها على الواقع وانطلاقها إلى الحياة، إذ عكست من خلالها صورة للوطن المتجدّد ذي الحضارة الممتدة منذ آلاف السنين».

وأضاف: «هذا ما جعلني أختار للمنحوتة خشب الزيتون الذي يعبّر عن الحضارة والتراث العريقين».

تجدر الإشارة إلى أنّ معرض الخريف السنوي بنسخته الجديدة سيستمرّ حتى السابع والعشرين من تشرين الثاني الجاري.

العمل السيمفوني «سيفو» ينطلق في العالم للمرّة الأولى من سورية

البطريرك أفرام الثاني: هذا الحدث تحية وفاء للذين بذلوا حياتهم في سبيل الإيمان

دمشق ـ آمنة ملحم

عن الحبّ والسلام، عن الارتباط بالأرض والحياة الجميلة التي كان شعب السريان يعيشها رافضاً الموت قبل الإبادة الوحشية التي ألمّت به بين عامَي 1914 و1920 على يد العثمانيين. وإهداءً لأرواح شهداء التاريخ واليوم وأمس، قدّمت الفرقة السيمفونية الوطنية السورية بقيادة الموسيقار أندريه معلولي، العمل السيمفونيّ «سيفو»، للمؤلف السرياني الشاب توماس يوسيل، الذي ألّفه خصيصاً لإحياء الذكرى المئوية لتلك المجازر، وعُزف في سورية للمرّة الأولى في العالم على مسرح دار الأوبرا في دمشق، برعاية البطريرك أغناطيوس أفرام الثاني بطريرك أنطاكية وسائر المشرق، والرئيس الأعلى للكنيسة السريانية الأرثوذكسية في العالم. وأحيت الحفل جوقة «مار افرام السرياني البطريركية» بقيادة شادي سروة.

وفاءً للشهداء... لا للثأر والحقد

«إن إحياء ذكرى مئوية إبادة السريان سيفو، ليست من أجل حقد أو ثأر أو ما يخالف تعاليم يسوع المسيح». هذا ما أكّده البطريرك أغناطيوس افرام الثاني في كلمة ألقاها خلال الحفل، لافتاً إلى أن الحفل يقام وفاء للذين بذلوا حياتهم في سبيل نشر الإيمان.

وتابع: إن هدفنا من الدعوة إلى الاعتراف بالإبادة، أن نمنع ـ إن استطعنا ـ حصول مثيلاتها، وإحقاق العدل، والعمل على وقف أشكال العنف كافة. فما دام الاعتراف غير رسمي، غير كامل، سيبقى للإبادة سبيل، لا سيما مع ثقافة العنف والإرهاب التي تسيطر على عالمنا اليوم. فالمجازر كلها التي ترتكب اليوم هي جرائم ضدّ الإنسانية، وعلامة انحدار الأخلاق إلى الحضيض. العنف هو إنكار لإنسانية الإنسان.

وقال: إن دماء شهدائنا في الماضي والحاضر تنمّي فينا روح الأمل بمستقبل أفضل، يعيش فيه الإنسان بكرامة في عالم يخلو من الإرهاب والعنف. وأثنى على العمل الموسيقي «سيفو»، لافتاً إلى أنه عمل ضخم يليق بأن يقدَّم في الذكرى المئوية لإبادة الشعب السرياني، وهو مقدّم للشهداء الذين كتبت أسماؤهم بأحرف من نار ونور. معبّراً عن فخره بمؤلف العمل الشاب توماس يوسيل.

وختم البطريرك كلمته مؤكداً إيمانه بأن سورية اليوم ستنتصر على الإرهاب والدمار، وستنطلق من جديد كما انطلق السريان من جديد وبنوا حياة جديدة. فالشعب سيقوم من جديد ليبني حياته ومستقبله، وهذا أمل يستمدّ من الإيمان بتضحية أبناء سورية وأفراد الجيش العربي السوري، وكلّ من يقاتل إلى جانبه لدحر الإرهاب. إنّ ما قدّمه الشهداء الأبرار، وتضحيات الجنود البواسل، لن تذهب سدى، بل ستعود بلادنا نقية طاهرة وتعطي مثالاً للعالم في الثبات وتبنّي المبادئ الصحيحة التي لا بدّ أن تنتصر. فالخير لا بدّ أن ينتصر.

السيف يتحوّل إلى رسالة حبّ

تضمّن الحفل أناشيد سريانية كنسية، تتحدّث عن الشهادة والشهداء. وموسيقى كلاسيكية بنفحات سريانية، ومن الأغاني التي أدّتها الجوقة والتي كُتبت خصّيصاً للحفل: «أطياف النقاء»، و«حروف من نور». ومما جاء في الأغنيتين:

ميّة سنة مرّو كأنن يوم
وبعدا الصوَر عم تحكي بقلبا صوَر
صورة شعب من أرضو لما هجرو
وصورة أمم عم تغدر بإيدا أمم
وصورة شهيد عجسمو بسيف انحفر
كلمة كفر وبعمرو اسمك ما نكر

بدوره، قال المؤلف الموسيقي يوسيل عن السبب الذي دفعه إلى كتابة هذا العمل السيمفوني: بعد مئة سنة من الأحداث، عُنيت بنشر تأليفي الموسيقي «سيفو» لأنه من أجل العدالة يجب أن نتذكر التاريخ في حاضرنا. واعترافات تركيا بإبادة عام 1915 أمر ضروري، وهي خطوة يجب أن نخطوها في اتجاه مستقبل أكثر سلاماً. فالتفاهم يقود إلى التواصل والتطوّر، ويجب أن نعمل به بدلاً من التحدّث عنه فقط. هذا ما أردت أن ألفت الانتباه إليه عبر سيمفونيتي، ويشرّفني أن أقدّمها للمرة الأولى في العالم من هنا، من سورية.

وعن تسمية العمل بـ«سيفو»، أشار يوسيل إلى أنّ «سيفو» باللغة الآرامية تعني السيف، ما يصف فظاعة الإبادة التي ارتكبت بحق الشعب السرياني.

وعن السيمفونية يقول: سيمفونيتي تنقسم إلى ثلاث حركات. الأولى تعبّر عن جمال حياة السريان وجهلهم المصير القاسي الذي يتحضّر لهم، لتأتي الثانية وتصف الدمار والسريان المقتولين الملقاة جثثهم في الحقول، ودماؤهم تجري في الشوارع في بلداتهم، وأدخلت فيها صلاة «الابون دبشمايو» «الصلاة الربانية» ثلاث مرات في ثلاث قطع موسيقية مختلفة، ويشير الرقم ثلاثة إلى الثالوث الأقدس من خلال هذه الصلاة. لا يفقد السريان الأمل، إنما يقومون ولا يستسلمون. وفي الحركة الثالثة يلجأ بعضهم إلى أوروبا، وآخرون يبقون في الوطن.

ويتابع يوسيل: الموسيقى بطولية خصوصاً في نهاية السيمفونية، ويؤكد سيفو أنّه ليس طي التاريخ، بل إنه في الحاضر ويتكرر في سورية، لكن السريان قاموا واعتصموا وعملوا ضدّه عالمياً، سيسمع الجميع صوتهم وسيعلم الجميع أنهم لن يستسلموا أبداً حتى يعترف العالم بالإبادة.

للكنيسة كلمة

من ناحيته، لفت الأسقف موريس عمسيح، مدير دائرة العلاقات العامة في بطريركية السريان الأرثوذكس في حديث إلى «البناء»، إلى أنه، كما «سيفو» ترمز إلى السيف الذي مرّ على رؤوس السريان قبل مئة سنة، يعيد التاريخ نفسه اليوم في سورية والمنطقة كلّها، لأن الإرهاب يفرش جناحيه ويمتد، بدليل ما حصل في الضاحية الجنوبية في لبنان منذ أيام وكذلك في فرنسا. موجّهاً دعاءه بالرحمة لشهداء الضاحية، وأن تبتعد هذه الغيمة السوداء عن الشرق والبشرية جمعاء، وأن نعيش بسلام وأمان.

وتابع المطران: نحن في سورية لطالما شكّلنا فسيفساء جميلة من محمديين ومسيحيين، وعشنا معاً كعائلة واحدة. كلنا أهل وأحبّة تحت مظلة الوطن والقيادة والعلم السوري الواحد.

معلولي

وفي حديث إلى «البناء»، أشار المايسترو أندريه معلولي إلى أن العمل السيمفوني «سيفو» يحكي عن مجازر العثمانيين بحقّ السريان، فيذكر الناس ببعض الألحان السريانية وقولبتها ضمن القالب السيمفوني، الذي يعزف للمرة الأولى في العالم من سورية. ومن هنا تأتي أهميته العمل الذي كُتب خصيصاً للمناسبة، ورمزية تقديمه من مسرح الأوبرا في دمشق إلى كل العالَم. هي رسالة هامة تؤكد أن سورية كانت وستبقى منبراً للحقّ، ومنارة للإنسانية والحضارة، وهي لا تنسى أبناءها وتكرّم شهداءها. سورية ستبقى نابضة بالحياة، على رغم كلّ ما تعانيه من ألم.

وأكد معلولي أنّ هذا الحفل أساسه العمل السيمفوني، وتخلّلته قطع غنائية بمشاركة كورال جوقة مار أفرام السرياني بقيادة شادي سروة، تحكي عن تلك المجازر. يعدّ هذا الحفل حدثاً توثيقياً هاماً جداً لسورية، ورسالة هامة مفادها أن شعب سورية شعب محبة وسلام.

بدوره، قال شادي سروة لـ«البناء» إنّ الحفل حمل نفحات شرقية بالتأليف الموسيقي والأغاني التي أعدّت خصيصاً له، وحملت تصوّراً للحظات القاسية من تاريخ الشعب السرياني.

وعاد سروة ليؤكد أن رسالتهم من الحفل الذي أطلق من سورية، أن يعرف العالم أن سورية ـ على رغم الجراح والآلام ـ تبقى منبراً للثقافة والموسيقى والحضارة، وهي منبر للحقّ، ينادي منها بالاعتراف بتلك الإبادة من قبل الجهات التي قامت بتدبيرها أولاً.

تكريم

وفي ختام الحفل، كرّم البطريرك أفرام الثاني إدارة دار الأوبرا، وقدّم لها درعا تكريمية، موجّهاً شكره لوزارة الثقافة على تعاونها الكبير من أجل إنجاح هذا العمل، كما كرّم كلاً من: يوسيل، معلولي (ممثلاً الفرقة السيمفونية الوطنية السورية)، وسروة (ممثلاً جوقة مار أفرام السرياني).

الزمن في العرض المسرحيّ

■ د. منصور نعمان

كيف يتعامل المخرج مع الزمن؟ وما هي الصيغ التي يتّبعها لبلورة مفهومه الفلسفيّ للزمن؟ وبطبيعة الحال، إنّ الزمن سواء كان بيولوجياً أو شعورياً، فإن المخرج يضطر اضطراراً للتعامل معه، ما دام يقدّم قصة على المسرح، وما دام هناك شخوص يؤدّونها. لهذا، فإن الفعل الدرامي يعدّ جوهر المسرح، ومن دونه تختل الموازنة. وإذا كانت تقنيات العرض الحالية قد فاقت بقدراتها وإمكانياتها التقنيات المتواضعة التي اجتهد من خلالها كبار المخرجين في العالم، وقبلهم المؤلفين الذين كانوا يخرجون نصوصهم، فإن العرض المعاصر صارت له الحظوة الكافية لأن يقدّم بصيغة جمالية متفردة، ذلك لأنّ الجمال المسرحي لا يقف عند حدود عناصر النصّ الدرامي وعناصر العرض المسرحي، ولا يكتفي بشكل فنّي لاشتغال تلك التقنية كالإضاءة أو الأدوات (الأكسسوار) على سبيل المثال، إنما يبتكر الجديد أو المثير المحفّز للدهشة الذي يشكل المشهد المسرحي، إذ يخلق عالماً مميزاً مكتظاً بالرموز والدلالات، ما يجعل الحياة على خشبة المسرح أكثر متعة وقدرة على الاستجابة لرهافة الحسّ والشعور والتفكير.

تكمن قيمة جمال المسرح، لا في استخدامه التقنيات فحسب، إنما في الكيفية التي يبني من خلالها لحظة متفرّدة، تكتسب صدقها ودرجة مشروعيتها بوصفها كاملة الحقوق. وإذا كان الزمن في سردية النصّ الدرامي، له حدود معينة وفي المفهوم الفلسفي له صيغ ما، فإنّ اللحظة التي يثيرها المخرج وهو يتعامل مع الزمن، لا بوصفه بيولوجياً ـ حياتياً، إنما بوصفه شعورياً وفكرياً، إنما يستدعي منه منهجاً في التفكير والتشبع الجمالي، بحيث يستطيع أن يعيد إبداع الأفكار المجرّدة إلى أفكار معمقة، تلتصق بالذاكرة وتنشئ عالماً سحرياً يخترق تقلّبات الحياة.

إن السؤال المثار حول كيف يتعامل المخرج مع الزمن، الذي يعدّ عصياً وصعباً، إلا أنّ إدراكه ممكن، ذلك لأن استشفاف التجربة الإنسانية يساهم في تلك المعرفة. وإذا ما تركنا المفاهيم الفلسفية لموضوع الزمن، فإن الزمن المسرحي يدخل في أشكال عدّة وقوالب متعدّدة، وبطبيعة الحال هناك: زمن العرض وزمن التلقّي وزمن الشخصية وزمن الحدث، فضلاً عن تشظّي الزمن في الحدث، فقد تستقطب أحداثاً تجري (الآن) أزمنة متباعدة جداً أو قريبة أو زمن مستقبلي، وإذا كان السرد المسرحي يتّخذ أنساقاً زمنية متعدّدة من خلال تركيبة الحدث ذاته، فإنّ زمن العرض، هو زمن بيولوجي. إلا أنّ زمن التلقّي يختلف بوصف الذاكرة وإنعاشها وتقلب صور المسرحية المتبقية في ذاكرة المتلقي ستبقى زمناً آخر، وتتشكل ضمن مرجعيته وتؤسّس أفقاً أرحب وأعمق للمتلقي. ولكن، كيف يستطيع المخرج أن يشكّل الزمن بما يجعله مشتغلاً ومعمّقاً للمفاهيم التي يطرحها، أو يجعلها حاملة المعنى المضموني الفكري فضلاً عن الجمالي؟ هل يمكن للمخرج والحالة هذه إعادة صوغ الزمن، إن كان صعب التفسير إلا أنه ممكن الإدراك؟ هل يستطيع أن يجعل المتلقي متمكناً من صورة الزمن في حالة تشظية إلى مكوّنات شعورية مثلاً، وهل تساهم تقنيات المسرح: الاضاءة، الموسيقى، الأزياء، المنظر، الأدوات، المكياج... إلخ في تشكيل معنى الزمن في العرض، في لحظة من لحظات تدفق العرض، بوصفه تياراً جارفاً. وهل يمكن أن تستوقفنا لحظة جمالية عارمة وهي تمرّ لثوان وتتمركز في الذاكرة؟

إن مخيلة المخرج وخياله وثقافته ووعيه وتجربته وتصوّراته قد تتأسّس على كيفية تصميم تلك اللحظة الجمالية الخارقة في العمل المسرحي. إنها لحظة متولدة وطاغية وتنغرس في الصورة المسرحية وتتشكل من خلالها، فهي ملتصقة ونابضة بالحياة ومتدفقة لأنها عالم غاية في التكثيف والنقاء والوعي، وتشكّل جوهر الجمال الأخّاذ الآسر.

فهل يستطيع المخرج خلق الزمن المسرحي وإعادة خلقه؟ هل يستطيع خلق (الآن) وما يجري في اللحظة الراهنة باعتباره القوة المهيمنة القادرة في تشكيل عوالم جديدة مستقاة من رحم الأحداث، ومن ذات الزمن؟ إلا ان التعامل مع الزمن جرى بطريقة صاغ منها المسرحي لحظة التألق الشبيهة بالفانتازيا، ذلك لأن تجمع أكثر من مرجعية وتدافع أكثر من تصوّر، لتركيب عالم اللحظة وجعلها خارقة للسياق التقليدي، هو نوع من تبئير أزمنة مكتظة وزجها بأتون لحظة إشراق نورانية، لتكشف عن جهد المخرج البارع وصوغه الفنّي وقيمته الجمالية. وإذا ما افترضنا أن الزمن يجري، وهو كذلك، فهل يمكن إيقافه؟ بيولوجياً يعدّ أمراً مستحيلاً، أما جمالياً فيعدّ أمراً ممكناً. ذلك لأن الفنّ المسرحي لا يفترض ـ وفي أكثر حالاته الطبيعية أو الواقعية ـ إلا تشكيل زمنه. إن اللحظة الجمالية المتفلسفة هي لحظة مصممة لا عفوية. إنها أشبه بعملية المخاض الطويل قبل الولادة، فما بالنا بولادة عمل مسرحيّ؟ إنّه المخاض الأكبر من المخاض، والجمال المتفلسف الأكبر من الفلسفة، لأنه يعيد نسق الأفكار المجرّدة ويجعلها محسوسة ومدرَكة ويقبلها العقل ويتأثر فيها المتلقي وجدانياً. فهل يمكن أن تتّحد تلك اللحظة الجمالية المتألقة وتجعل من الزمن وآلية اشتغاله على المسرح، عنواناً للافكار والمضامين، مثلما هو تنظيم للوعي البشري، باعتبار الفنان متقدماً على مجتمعه، قادراً على بلورة الافكار الاكثر نضجاً وقيمة وبالتالي حاملاً طقوس التعامل الزمني الممكنة؟

إنّ المخرج يستطيع تقديم حكايات منسية، أو يخلق جذوراً درامية لظواهر حياتية أو يجعل من العرض المسرحي تركيباً فنياً ويخلق خيطاً من تيار الفعل بما يذيب تلك التراكيب ويصهرها في قالب درامي تتقبله الذائقة. ومع ذلك، فإن الزمن صعب، زمن العرض المسرحي والتعامل معه، أشد صعوبة، فقد يكون في رحم مشهده مثالاً: عدو يستبيح امراة ويتم الاعتداء عليها جنسياً، فهذا المشهد قد لا يستغرق دقائق. فما بالنا بالاستباحة الجماعية عندما ينفرد الجند بنساء قرية كاملة؟

إن ذكاء المخرج دفعه، لأن يستخدم المشهد الأول، المتعلق باعتداء الجندي ـ العدو على المرأة ويستخدم الاضاءة بالقطع. وإذا بنا أمام اربع نساء يتأوهن ويتوجعن نتيجة استباحتهن من قبل جند العدوّ.

ويلاحَظ أن كلا المشهدين قصيران، إلا ان التعامل مع الزمن جاء نتيجة من نتائج الكشف عن الاستباحة، وتحديداً للمرأة الأولى التي اعتُدي عليها جنسياً، وكانت رمزاً للمرأة. أما المشهد الثاني، فإن الاستباحة جماعية من دون الحاجة للعودة إلى تركيب المشهد ذاته. تأوهات النساء وإشارات الممثلات إلى البطون، وسقوطهن على الأرض، ذلك شكّل التدعيم المطلوب لتأكيد تلك اللحظة. إن التعامل في صيغة بنية العرض، من حيث الاختزال والإشارة السيميائية للاستباحة، أضفى قيمة جمالية للعرض، وخلق في تلك اللحظة. فالتعامل الزمني بين المشهدين، هو الكشف عن الرابط ـ الفعل الدرامي ـ بوصفه الجامع الشامل لكل الافعال، حتى لتلك التي تشكّل خرقاً للفعل الرئيس، إلا أنها تنتظم وتتّحد في الصورة المسرحية، لأنها الصورة التي تقبل التحشيد والضمّ.

إن الزمن عصيّ، لا شك في ذلك، إلا أن إمكانيات المخرج وقدرته في خلق الوشيجة تعدّ قائمة وممكنة لأن الزمن ليس تسلسل الأحداث مثلما هي، وقد لا يكون الزمني المنطقي مطلوباً في عرض من العروض، إنما خرق المنطق، وإيجاد منطق فنّي جمالي يعدّ أس العملية الفنية. والتعامل على هذا المستوى، يتيح المجال لإمكانية خلق عالم أكثر ديمومة وتأثيراً، متّسم بالوحدة بين الافعال. ومع ذلك، يتشكل الخرق لأن الجمال المسرحي أفق مشرّع للخيالات الخصبة.